

إستراتيجية الحجاج التداولي التأثير والتلقي مقارنة تداولية
Pragmatic argumentation strategy: influence and reception.
A pragmatic approach

د. باجي بن عودة (*)
 المركز الجامعي نور البشير - البيض
 professor.benaouda@gmail.com
 مخبر اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران 1

تاريخ الاستلام: 2024-12-30 تاريخ القبول للنشر: 2025-01-23

ملخص:

حاجتنا إلى معرفة طرائق الإقناع والتواصل، فقد أضحت الحجاج مطلباً أساسياً في كلّ عملية اتّصالية تستدعي الإفهام والإقناع فالمجتمع يتّجه يوماً بعد يوم نحو علوم التحريض والدعاية المغرضة والاستفزاز اللا متناهي والهدف من هذا البحث. التعامل بوعي مع النصوص التراثية، والمخزون العلمي العربي المملوء بالجواهر واللآلئ الغالية القيمة التي تستدعي جهود الباحثين للوقوف على أسباب القوة والضعف في قراءتها على صفحات واقعنا المؤزوم بهدف الخروج من الاهتمام الشكلي للبلاغة الموصولة بالقيم الحجاجية والمرتبطة بالذوق والجمال والمجاز من غير تعقيد ولاتقنين لضبط المنهج والوقوف على النتائج المترتبة عن مقصدية الإبانة والتوصيل والإفهام ثم التأثير.

الكلمات المفتاحية: مواقع التواصل الاجتماعي، جريمة القذف، العنف الرقمي، قانون العقوبات الجزائي، الجريمة المعلوماتية.

Abstract:

Our need to know the methods of persuasion and communication. Argumentation has become a fundamental requirement in any communication process that requires understanding and persuasion. Society is moving day by day towards the sciences of incitement, malicious propaganda and endless provocation. This is in order to consciously deal with heritage texts and the Arab scientific repository full of jewels and pearls of precious value that require the efforts of researchers to discover the

* باجي بن عودة

causes of strength and weakness by reading them on the pages of our imminent reality in order to get out of the formal interest of rhetoric linked to argumentative values and linked to taste, beauty and metaphor without being bound or rationed, to achieve the goal of clarity, communication, understanding and then influence . When the creative speaker expresses a truth through persuasion, influencing the interlocutor's soul to accept this truth or allow it for pure emotional gain, then the conquest of hearts and consciences is the path that opens the way to a conviction of a rational order. Nature. The speaker can load the word with a persuasive emotional charge, so that the word is intimidating or seductive, so that the word is then transformed into a sign that not only denotes a meaning, but also evokes other signs in the mind and brings innumerable images to it.

Keywords: Speech, argumentation, orator, persuasion, influence, reception.

مقدمة:

الخطاب مفهوم عام يحيل على أنواع مختلفة من الرؤى باختلاف أشكال التواصل والتفاعل أخذاً وعطاءً بين الأنساق، وما يُبني عنه من تأثير كبير في تحديد الآليات التعبيرية الملائمة لكل شكل، فقد كان لزاماً على الباحثين تحديد التقنيات التي يفترض بكل نوع الإلتزام بها، حتى يحقق غايته الإقناعية.

إن أهمية المشكلة لهذا البحث تصب في البناء الحجاجي للخطاب المكتوب و المشفوه الذي يفرض نفسه في وقتنا الحالي، كما لو أنه إنتاج فني أو أدبي في خدمة أهدافه النفعية في استعمال اللغة، ومن هنا اكتسب أهميته الحضارية، وفي الآن نفسه خطورته.

هذه الورقة تحاول معالجة مشكلة التواصل من خلال أرضية الحجاج فهو يلعب على النفوس والعقول معاً، فيأمر وما على المتلقي إلا التنفيذ. وأمام الحاجة الملحة لهذا المشفوه في المجتمع ودوره الفعال في نشر ما له علاقة بالتوعية وصناعة الرأي عن طريق فلسفة الموقف، فإنه يعمل على تحديد أنجع التقنيات والوسائل الممكنة لصنع وإيصال الرسائل المقدورة والممكنة حسب قوة الحجاج المقنعة للجماهير الواسعة

أهمية البحث: الهدف الرئيس من هذا الموضوع، هو الوقوف على ضرورة التعامل مع الخطاب من منطلق تداولي شمولي يتغيا المسطرة الحجاجية .

تقعيد مسطرة تمد الجسور بين التراث العربي الإسلامي والكسب الإنساني تدافع عن الخصوصية من غير انغلاق، وتفتح العقل على الكسب الإنساني من غير ذوبان مع تحديد المصبات في رحاب التفاعل الثقافي وليس الغزو السالب .

إن الحجاج ضرورة حتمية وآلية لا بد منها في جميع مجالات الحياة تنطلق من اللغة و تتغيا حصول التأثير، والإقناع

إشكالية البحث: تكمن إجمالية البحث من خلال التساؤلات التالية:

- ما مفهوم التواصل والإبلاغ من خلال أرضية الحجاج ؟
 - ما مدى استفادة الخطاب من مكتسبات اللسانيات الحديثة
 - تسليط الضوء على مبادئ الإقناع والتأثير في ظلّ الطفرة التكنولوجية وأدوات التواصل
 - سدّ الثغرات التي تحاول ممارسة القطيعة المعرفية مع المنتج المعرفي العربي الإسلامي .
- الدراسات السابقة: عالج الكثير من الباحثين المعاصرين موضوع الحجاج واستراتيجياته كل على حسب تخصصه ونظريته، ومن أبرزهم فبداية كانت مع نظرية البلاغة الجديدة لـ (برلمان وتتيكا) ثم نظرية المسألة لـ (ميشال مايير) ثم نظرية الحجاج في المنطق الطبيعي لـ (تولي-)، وأخيرا نظرية الحجاج في اللغة لـ (ديكرو وأنسكومبر) ثم نجد الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن قد برع في تأصيل الحجاج الفلسفي التداولي، كما تعدّد محاولة د. عبد الله صولة الباحث التونسي الرصين من المحاولات الرائدة في الكتابة الحجاجية، إذ ألف كتاب " الحجاج في القرآن" الذي نشره سنة 2007م " عالج فيه مبحث الحجاج التداولي من البعد الأسلوبي، مظهراً التفكير الحجاجي عند العرب، وموضحاً أسلوبية الحجاج في القرآن. وكتب العزاوي اطروحته " بعض الروابط التداولية في اللغة العربية مقارنة حجاجة، بإشراف ديكرو سنة 1990م. إذ أحسن العزاوي في توضيح مديات هذا المفكر اللغوي الرصين، وأحسن الدكتور سعد مصلوح حين قال (نظريات الحجاج المعاصرة ردّ اعتبار لجانب الإقناع الذي أهملته البلاغة المدرسية لحساب جانب الإمتاع. والبلاغة إمتاع وإقناع من خلال نظرية التلاحق الحقول المعرفية . سلكت في هذا البحث اتباع المنهج الوصفي الذي يقوم بدراسة الظاهرة بجمع البيانات والمعلومات المتعلقة بتلك المتغيرات أو المشكلات مع مرافقة المنهج التحليلي الذي يتغيا إكمال البحث عن طريق أعمال التصنيف والتجزئة والتقويم.للحجاج الذي ارتبط عند بعضهم بالتداولية، وكان لا بد لهذا الواقع الحجاجي من دراسة وبحث يغوص في أعماقه، ويكشف عن تقنياته وآلياته.

يحاول هذا البحث أن يقدم الدلائل العلمية والتاريخية من خلال محطات فكرية في النظرية اللسانية المعاصرة عامةً، والنظرية اللسانية العربية خاصة، التي تعرض لها الكثير من الباحثين مستفدين من النظريات الحديثة في مجال الألسنة التي تناولت التراث من خلال الاستفادة من الكسب الإنساني غير أن معظم المؤلفات الأكاديمية والبحوث المستقلة والرسائل

الجامعية التي تناولت هذا الموضوع اقتصر على الحجاج الغربي تحت مسمى البلاغة الجديدة، ولذلك فالهدف هو تقديم ما يمكن تقديمه في إشارة متواضعة الى ما تزخر به المصنفات العربية الإسلامية مثل كتاب المنهاج لترتيب الحجاج لأبي الوليد الباجي ت 474هـ أبو هلال العسكري الصناعتين في الشعر والنثر 395 هـ ومن المحدثين أحمد زكي صفوت جمهرة خطب العرب في العصور العربية الزاهرة، أنطوان القوال فن الخطابة، محمد العمري في بلاغة الخطاب الاقناعي، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها.

أملنا في تفعيد مسطرة تمد الجسور بين التراث والكسب الإنساني تدافع عن المنتج المعرفي التراثي من غير انغلاق، وتفتح العقل على الكسب الإنساني من غير انغلاق، يحاول بحثنا سدّ الثغرات التي تحاول ممارسة القطيعة المعرفية مع المنتج المعرفي العربي الاسلامي باعتباره إضافة نوعية تتصل بالعلوم الإنسانية، ما كانت لتنبثق لولا هاجس التنظير والممارسة والاشتغال بعمق في فهم الظاهرة اللغوية التي أفرزت تيارات لسانية جديدة منها التيار التداولي، وهو مذهب لساني يدرس علاقة النشاط اللغوي بمستعمله، وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغوية بنجاح، والسياقات والمقامات المختلفة والبيئات ذات المرجعيات المتعددة التي تتشكل فيها مسارات الخطاب، والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية واضحة بينة بليغة التأثير، وناجحة التوصيل معتمدين الأدوات التحليلية التي تنتهج الصرامة والدقة في ضبط المعارف والمفاهيم من أجل إدراك المعاني الحقيقية للمنطوقات، وعلى أنّ فاعلية اللغة تتعلق بالاستعمال من حيث الوقوف على الأغراض والمقاصد، ومراعاة الأحوال، وفقه ملابسات الوضع والإنتاج والفهم.

ولما كانت اللغة لغة النظم والترتيب انبثق الاهتمام بها خلال القرن الماضي مع انبعاث الدراسات اللسانية، ومباحث فلسفة اللغة، وحقول المعرفة التي تتقاطع وهذا الموضوع والتي انشغل بها الدارسون من مختلف التخصصات، فمنهم اللساني والمنطقي والرياضي والفيلسوف، إلا أن هذا المبحث لم ينل حظه بعد من التناول الآخذ بالأدوات والمناهج العلمية المضبوطة. التي نحاول رفع تحدياتها وإمالة اللثام عن كنوزها ومكوناتها، وذلك باستخدام البيانات النصية المتصلة بالتراث وخطاباته المثقلة بالحمولة المعرفية المرتبطة بالأصل .

وذلك بتعقب قضية الججاج داخل متون الثقافة العربية الإسلامية الفاعلة والمتحركة وهي ترسي أنظمتها وسننها، في تعامل العقل باللغة مع الكتاب المسطور والكون المنظور ضمن تصور معرفي عام مداره على استجلاء الخواص النظرية والعملية المتحكمة في الثقافة العربية الإسلامية بمختلف روافدها الحرفية والإشارية والمقاصدية ثراءً وتنوعاً، والتي ملأت فتوحها الدنيا وشغلت

غزارة علمها وفكرها النَّاس، فكتبوا حولها وانخرطوا في دورتها العلمية والحضارية، يتنازعون الفهوم وتجادل الإيرادات داخل مجال الموروث كشفا للحقائق وتفاعلا مع الأفكار، ووقوفا على مراكز الدفع والطرد وهي سنة جارية تتعدى الألسنة والألوان الى أشواق العقل والوجدان والفنّ الموشح بالذوق والجمال ركيزتها الحجة المملوءة بالتصورات والعقائد، والعوالم الذهنية الممكنة.

لا يتأتى الحديث عن أي مجال من مجالات الحياة حتى يكون الحجاج من مقتضياته . لذلك، فلا غرابة إذا تأسست للحجاج نظرية أو نظريات تستهدف تسليط الضوء على مبادئ الإقناع وطرقه، كما تسعى إلى ترسيخ ثقافة الحوار والتواصل. وبوحي من هذه القناعة، آثرنا أن نتخذ من "الحجاج" الموصول بمقولة "التأثير" و"الخطابية" خلفية منهجية، ومدخلا لمساءلة النصوص الإبداعية والتألفية تراثية كانت أو حديثة، مكتوبة أو مسموعة، وذلك من خلال منهج تحليل الخطاب لكشف استراتيجياته التواصلية والإقناعية الثابتة خلف الآليات اللغوية والنحوية والبلاغية، وإبراز مناطق التواشج والتعلق بين الفهوم المتعددة والمنطقيات المتباينة.

فالمقاصد الحجاجية التي تتخذ صورة مضمرات ومخبوءات أحيانا، تحتاج لتبنيها وتبنيها إلى كفاءات تأويلية، وقدرة على إضاءة تضاعيف الخطاب، والنفوذ إلى بنياته العميقة، سواء أكانت الخطابات مقامات أم رسائل أم خطابة (دينية وسياسية) أم مناظرات أم شعرا أم سردا، وتحليل كافة الخطابات التخيلية والتداولية الحجاجية التي تؤسس حياتنا الراهنة من خطابات سياسية ودينية وإعلامية وغير ذلك.

لقد برهن البحث اللساني المعاصر على قابلية كبيرة لوصف وتحليل مجالات معرفية مختلفة تتصل بالتراث اللغوي، كما يبين قدرته على إقامة حوار تكاملي مع معطيات الفكر اللغوي القديم بغاية تجديده وتحديث من باب مبدأ الثقاف الذي يفرض علينا اليوم أن نتأمل - وبعلمية- بنية الخطاب وأنساقه المكونة ودلالاته، وإحالاته المعرفية؛ لأنه شحن في عصرنا الحالي بحمولات مختلفة في ظل إكراهات العولمة وظروف الإعلام الجديد، وتطور الثقافة، وتدفق المعلومة من كل حذب وصوب، الأمر الذي شتت الإدراك الايجابي للخطاب والوعي بمختلف حمولاته، ضمن النظر العلمي لعلوم الخطاب المتعددة .

لقد أضحت الحاجة ماسة إلى أن نستوعب هذه التطورات اللسانية المعاصرة وأن نستوعب ارتباط مفاهيمها اللسانية بأنظمة معرفية تقوم على صورنة المفاهيم وتقنيات الوصف والتفسير، وهي مفاهيم دقيقة تأسست على تقاطعات معرفية مغايرة للنظام المعرفي اللغوي القديم. فاللسانيات المعاصرة تنتمي إلى منظومة معرفية متشابكة تضم المنطق والرياضيات وعلم الأحياء والعلوم المعرفية، وقد ساهم هذا الانفتاح في تجدد أسئلتها وأساليب بحثها.

أنّ اللّغة الطّبيعية لم تبقى لغة طّبيعة في عصر الإعلاميات والبرمجيات بل أصبحت لغة تقنية تتحكّم فيها آليات التّخاطب والتّواصل المعاصرة، وفي ظلّ سيادة تكنولوجيا المعلوماتية تميّز عصرها بسقوط الحواجز المكانية والزّمانية والخصوصيّات الثقافية والحضاريّة وغدى النّاس يتواصلون كأنّهم في قرية كونيّة صغرى، أدّت إلى مزيد من الإفتتاح الثّقافي والتفاعل الحضاري فلم يعد في ظلّ الثورة المعرفيّة مطلوب إلينا أن نتلقى الخطاب كما صاغه غيرنا، وخاصّة بعد عجز البلاغة القديمة والنحو القديم عن المسايرة. وإنّما يجب أن نُحلّل ونتواصل مع الثورة المعرفية وبواسطة هذه التّقنية المؤثرة من أجل متابعة وفهم سيرورة التّاريخ وتحليل أحداثه بوعي وذكاء كي يتيسّر فهم خطابنا في ظلّ الخصوصيّة التي تقوم على التّمسّك بالأصل من غير انغلاق، و الانفتاح على العصر من غير ذوبان؛ لأنّ الحجاج وأفعال الكلام في رحاب التّداولية بوجه عام أصبحت قدراً محتوماً لأي لغة تفهم وتتواصل وتستوعب قضاياها الأدبية والعلمية والفكرية، حتى لا يتهدّد كيانها ولا يتيه فكرها بين العماء والغُموض.

فمجالات تحليل الخطاب وفق مناهج متعددة وآليات لسانية وغير لسانية؛ أثبتت اليوم أنّ عزل اللّغة عن الواقع والفكر " أيّ دراسة اللّغة في ذاتها ومن أجل ذاتها" لم يعد له اليوم الضرورة العلمية، خاصة بعد ظهور وتطور النظريات التّداولية التي فسحت الرؤية أمام المجال الحيوي للفعل الإنساني باعتباره المنجز بما يحمله من مؤهلات مكثفة ذاتية تطلق لدى الفرد حرية المبادرة والإبداع، ارتبطت بالتجارب والإلهام وسعة المعارف والواقع بكلّ ثرائه وتضاداته الخارجية تنقل الفرد بشكل غير اعتباطي من مجال الأقوال إلى ميدان الأفعال التي تحكمها القواعد اللّسانية، والمنطقية، والنفسية، والاجتماعية، والقيم الجمالية والثقافية المتخصصة، وفي الوقت نفسه ترتبط بعلوم البلاغة الحديثة والقديمة وعلوم المنطق المختلفة.

لقد حدد عبد المجيد الشّرفي الثّراث الدّيني على الآثار المكتوبة من تفسير وحديث وعلم كلام وأصول فقه، وهو مفهوم تضيق به دلالة المصطلح في عمومته وشموله، "فهو عنده لا يشمل الطقوس والعادات والتقاليد والعقائد الشعبية، وإنما يقتصر على الآثار المكتوبة التي تتعلق بالمواضيع الدينية سواء أكانت في ميدان التفسير أو الحديث أو أصول الفقه أو الفقه ذاته"¹ وهذه مساحة منحصرة تناقض مصادر المعرفة التي يتلقاها الانسان من الكتاب المنظور والكون المسطور في بعده المدوّن والشفوي كذلك؛ لأنّ محصلة الأثر الديني لا ترتبط بالمكتوب دون المشفوه والمعروف من الأفكار والعادات ومساءلة التقاليد والعقائد، كما تداولها المجتمع؛ لأنّ الظواهر

1- "في قراءة التراث الديني - إتيقان في علوم القرآن الشّرفي (عبد المجيد) ، ضمن كتاب، في قراءة النص الديني، الدار التونسية للنشر، 1986، ص11.

الثقافية عامة تتكامل مهما كانت أشكال صياغتها ومهما تنوعت طبائع خطابها فلا ينعزل في تحديد الموروث الديني المكتوب عن الشفهي المفوظ.

فهي لدى البعض ممن اعتنى بالظاهرة الدينية، فجادل مسلّماتها من خلال فتحها على شعب من المعارف متابينة ومجالات من مناهج النظر مختلفة، علامات على أثر الظاهرة الدينية في التداول والممارسة.

للخطاب مفهومان: الأول أصيل وثابت وبسيط وغير مركب، عرفته معاجم اللغة وورد في الوحيين القرآن والسنة، ثم يأتي المفهوم الثاني معاصر مركب ذو طبيعة تتعدى الدلالة اللغوية الى المدارك الفلسفية والفكرية والأبعاد الحضارية، ولكي تتضح الفروق بين المعنيين على مستوى المفهوم، جاء في لسان العرب المخاطبة/المحاورة أو مراجعة الكلام والخطاب كما قيل هو الكلام الذي يُقصد به الافهام لمن هو أهل لذلك، فعلى المستوى القرآني نجد مادة خَطَبَ واشتقاقاتها وردت 9 مرات وكلمة خطاب وردت في آيات ثلاث "رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا"² ثم في قوله: "إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ"³ وفي ما من له به على سيدنا داود عليه السلام "وَشَدَدْنَا مُلْكُهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ"⁴

ونلاحظ في الآية الثالثة اقترن الخطاب بالحكمة والحكمة في لغة العرب أشبه شيء بمعنى البلاغة التي تعني كما عرّفها البلاغيون بأنها: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال"⁵ وذهب بعض العلماء من أمثال ابن منظور أنّ الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهم يتخاطبان، والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخطيب على المنبر، واختطب يخطب خطابة، واسم الكلام الخطبة (...)⁶ والخطبة عند العرب الكلام المنثور الذي له حسن الاستهلال مُشفع بحسن التّخلص، البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يُخاطب به ولا يلبس عليه، وهو القصد الذي ليس فيه اختصار مخلّ ولا إشباع ممل.

والحال هو الموقف بملايساته أو الظروف القائمة، أو بمعنى أوسع المقام الداعي لإصدار الخطاب، ومقتضى الحال ما يجب أن يكون عليه الخطاب من بيان الحال والتعبير عنها، مع

2 سورة النبأ، الآية، 37.

3 سورة ص، الآية، 23

4 سورة ص، الآية، 20

"5، الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني شرح وتعليق د. محمد عبد المنعم خفاجي (بيروت: دار الكتاب اللبناني

1405هـ/1985م ج، 1. ص، 41

⁶ لسان العرب، ابن منظور، مادة خطب(خ ط ب)

مراعاة الملابس المحيطة بالموقف، فإذا أصدر المتكلم الخطاب على ما يجب أن يكون من مراعاة الحال - حال المخاطب وحال المتكلم - والملابس القائمة، وحقّق الفائدة لدى المتلقّي - كان مطابقاً لمقتضى الحال، فالحكمة هي وضع الشئ في ألق مواضعه وأنسب أحواله.

فقد يكون الانسان عالماً خطيباً مفوهاً وليس حكيماً، و أن تكون خطيباً حكيماً فنانياً ومبدعاً، هو أن تدرك متى تضع فصل الخطاب في موضعه الصحيح زماناً ومكاناً وظرفاً وحالاً، مخاطباً الناس حسب عقولهم ومقاماتهم وأنّ لكلّ مقام مقال كيّ يُعطي الخطاب ثمرته المرجوة وقطوفه اليانعة إذا اقترن بالحكمة وفصل الخطاب في تبيان الحق وتمييز الخطأ من الصواب.

يتبين على مستوى المفهوم الحديث أصبح الخطاب مفهوم فلسفي يرتبط بحمولة المصطلح والمنهج الذي اضطرب فهمه واختلّ ضبطه في التفكير، وطرائق التعبير، وعمق المنظموم الفكري الموشح بالعقائد المختلفة، والمذاهب المتنوعة مما يدلّ على أنّ الخطاب ليس أسلوباً للتعبير والاقناع، ولكنه وعاءٌ يعبر عن المعتقد والروح والفلسفة والمذهب وهذا ينطبق على خطاب الفعل الثقافي والفني، والتوجه الإعلامي.

والخطاب الديني بمختلف مجالاته وأنساقه ومسارته، ويأتي في مقدمتها الخطاب الإعلامي المؤثر بفعل الثورة العلمية التقنية :لأنه أكثر استعاباً لهذه المضامين الرحبة، ولأنه يخاطب العالم مرتكزاً على المنهج معبراً على الأفكار والرؤى والمواقف التي يريد أصحابها إيصالها بفعل إستراتيجية الخطاب المؤثرة، وذلك عبر الوسائط والأدوات والآليات التي أحدثتها هذه الثورة المعرفية والتقنية الهائلة، وبناءً عليه نقول: أنّ الخطاب باعتباره معبراً عن حقائق الدين والكون بمفهومه العميق، الذي يستند إلى مرجعية إسلامية من حيث أصول القرآن والسنة وأي من سائر الفروع الفرعية تابعة لأحد المصدرين سواء كان منتج هذا الخطاب فرداً أو جماعة أو طائفة أو مذهباً، سواء كان تعبيراً عن جهة سياسية أو أهلية أو ما يتعدد من وسائل الخطاب المتعددة ومنها الخطاب المنبري الذي يتجلى وعظاً على المنابر في إثارة المتلقي بجمالية اللفظ والصورة والتركيب والايقاع، وصناعة المواقف باسقاط فقه النصّ على فقه الواقع.

ويرتبط الخطاب بالحوار الذي يعني مراجعة الكلام والحديث بين طرفين ينتقل من الأول الى الثاني ثم يعود الى الأول وهكذا... دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل بالضرورة على وجوب الخصومة ..

يقول ابن منظور: الاسم من المحاوراة الحوير تقول سمعت حويرهما و حوارهما والمحاوراة المجاورة والتحاوير التجاوب والمحاوراة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وان وردت مادتها في ثلاثة مواضع ارتبطت بالسماع والجدال والحوار وتبادل القول في قوله تعالى:(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ

الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُزَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ⁷ (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا)⁸ يحاوره يراجعه الكلام ويجاوبه والمحاورة المراجعة والتحاوير التجاوب على أن الحوار يرد في القرآن الكريم في مواطن كثيرة جداً وإن لم تستعمل مادته نفسها وإنما تستعمل كلمة "قال" التي وردت في القرآن 527 مرة

"لا يمكن لصانعي الخطاب ومهندسي النصوص في ظل استعمال اللغة تداولياً من عرض الاستهلاكات الحجاجية وفق استراتيجية تتجاوز الكم اللغوي إلى إجادة العرض وحسن البسط وبراعة الاستهلال في القبض على المعاني التي تشدّ عنق السامع من خلال أدوات الاقتناع وتحسس قابلية الجمهور الحاضر أو المفترض؛ لأن بلاغة الخطاب تستوجب مهارة الخطيب وتميزه لما يتصف به من رابطة الجأش، ووضع الكلمات في القوالب التي تليق بها، ومخطابة الناس حسب عقولهم ومقاماتهم.

صناعة الخطاب له علامة ثقافية إعلامية لما يتميز به من قدرة عالية على بلورة الرأي وتشكيل الوعي، ومن ثمة لقيت اللغة الحاملة للرسالة المراد منها التأثير في المتلقي. إذ يعتبر الخطاب الذي تندرج في إطاره الممارسات الثقافية، إذ يخضع لعدة ضوابط ومعايير تقنية، فتجده يركز على المتلقي، طبيعته وسماته، توجيهاته، التي بدورها ستوجه مضمون الخطاب وتحدد معالمه ويستخدم لأجل ذلك وسائل لجلبه وإقناعه والنجاح في التواصل والإبلاغ بوعي في إيصال رسالته للمتكلم الواعي بدوره، وفهمه للغة وطاقتها، وفهمه لظروف المتلقي، ونجاحه في التجاوب أخذاً وعطاء مع وجود المصبات التي تفرز الغث من السمين .

ولا يمكن تحديد هذه الاستراتيجيات التي يتوخاها في الخطاب بمعزل عن المقاصد التي لديه، وعن المرسل إليه، وإجمالاً عن السياق بعناصره المتعددة.⁹

لأن الخطابات كتل أو عناصر تكتيكية في حقل علاقات القوى قد تكون هناك أشكال متباينة منها وحتى متناقضة داخل الإستراتيجية الواحدة نفسها وبالعكس يمكن أن تنتقل هذا الخطابات بين استراتيجيات متناقضة دون أن يتبدل شكلها "ويحيلنا هذا القول إلى أن الخطاب تنوع أشكاله وتختلف تجلياته.

⁷ سورة المجادلة (الاية 1).

⁸ سورة الكهف (الاية 34).

⁹ استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية، تداولية عبد الهادي بن ظافر الشهري، مقدمة. مط، دار الكتاب الجديدة المتحدة بيروت،

لبنان، ط1، ، 2004 ص، 7.

إن الحجاج ضرورة حتمية وآلية لا بد منها في جميع مجالات الحياة تنطلق من اللغة و تتغيا حصول التأثير، والإقناع ويذهب طه عبد الرحمن إلى أن "الحجاج لا يدور على الألسن بالدرجة نفسها التي يدور بها عليها لفظ التواصل"¹⁰ فالجهد المبذول في الحجاج ذو بعد إقناعي إفحامي حوارى ينهض على مبادئ ذات طابع تداولي، في توجيه المعنى وتحقيق التأثير الذي يظل عموما قصد المتكلمين، وقد بين فلاسفة الحجاج في مؤلفتهما بأن الحجاج في اللغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججا تدعم وتثبت بعضها الآخر.

لما كانت اللغة ذات طبيعة حجاجية متأصلة فيها هذه الخاصية ألصق بالخطاب منها باللغة، وكانت أنواع من الخطابات في التراث العربي هي التي تمتد الأبحاث الحجاجية بمادة غنية في التنظير للحجاج على أسس حديثة، والتي وجد فيها الباحثون المعاصرون ضالهم فيها يرمونه من الكشف عن الكنوز التراثية العربية في هذا المجال "أحيانا يكون التدرج والتنظيم في المسار الحجاجي أهم من المحتوى القضوي أي دراسة مسار الحجاج انطلاقا من قول الحجة إلى نتيجهتها وطريقة التلازم والتعاقد وسلم التفاضل بين الحجج من حيث القوة والضعف والكم والكيف... إلخ من خلال الحجج تكون التي موجّهة نحو الدعم والإدراج أو النقص والتبكيث :Négation et réfutation L'étayage باعتماد الاستراتيجية التشاركية وهي التي تروم تقاسم فكرة مع الآخر وقد لا يكون خصما بالضرورة وتبرز من خلال واسمات لغوية أو مقامية ومواضع ثقافية عامة تستدعي مشاعر وأحاسيس المتلقي، على المحاج أن يكون مُحيطا بالنسق الفكري والثقافي للمقبل، وذلك باستعمال الحجج القائمة على بنى الواقع التي قسمها حسب علاقتي التتابع والتزامنا لتتابع المتصلة بنتائجها أو بأسبابها:.

فالجهد المبذول في الحجاج ذو بعد إقناعي إفحامي حوارى ينهض على مبادئ ذات طابع تداولي، في توجيه المعنى وتحقيق التأثير الذي يظل عموما قصد المتكلمين، وقد بين ديكر و انسكمبر في مؤلفهما الحجاج في اللغة : "بأن الحجاج في اللغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججا تدعم وتثبت بعضها الآخر."

إذ تتلاقح الخطابات فيما بينها وفي بعض الأحيان تنصهر لتشكل سلسلة متصلة تفرض نفسها كلحمة واحدة، وبهذا يغوص الخطاب في اطار النظرة الشمولية عميقا حيث يمارس ثنائية التجلي والخفاء، الحضور والغياب، ويتموقع في التركيبية العامة من خلال اللغة التي تؤسس

¹⁰التواصل و الحجاج، سلسلة الدروس الافتتاحية، طه عبد الرحمان الدرس العاشر 1993م / 1994م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص.5.

لمفهوم الاختراق الدائم وبذلك يمتد تحليل الخطاب من الآفاق اللسانية والتداولية إلى ميادين واسعة، ترتبط بالأنظمة الثقافية، التي تنتج المعرفة وتوجهها، وتقنن تداول مكوناتها، وتبسط هيمنتها ومفاهيمها.

فإذا كان معيار اليقينية في هذا الأخير يتأسس على اعتبارات نظرية صرف لا صلة لها بالاعتقاد والسلوك، فإن الأول يمتاز عن الثاني بنشد أنه تغيير وتوجيه اعتقادات المخاطبين وحثهم على الانتهاض إلى العمل، ولاشك أن استدلالاً بهذا الوصف العملي أقوى على التوجيه وأقدر على التغيير.

إن الحجاج ضرورة حتمية وآلية لا بد منها في جميع مجالات الحياة تنطلق من اللغة وتتغيا حصول التأثير، والإقناع ويذهب طه عبد الرحمن إلى أن "الحجاج لا يدور على الألسن بالدرجة نفسها التي يدور بها عليها لفظ التواصل"11 فالجهد المبذول في الحجاج ذو بعد إقناعي إفهامي حوارى ينهض على مبادئ ذات طابع تداولي، في توجيه المعنى وتحقيق التأثير الذي يظل عموماً قصد المتكلمين، وقد بين ديكر وآنسكمبر في مؤلفهما الحجاج في اللغة : بأن الحجاج في اللغة يجعل الأقوال تتابع وتترابط على نحو دقيق فتكون بعضها حججاً تدعم وتثبت بعضها الآخر.

فالكون الحجاجي أساسى فى المعنى و هو الذى يحكم اشتغال الأقوال داخل الخطاب وينهض على مبادئ ذات طابع تداولي وأن المكون الإخباري ثانوي و هامشي، وقوة الكلمات أو اللغة بين الانجاز و الحجاج "لأن الدراسة الآنية اللسانية الأولى مع سوسير كانت تقصر وظيفة اللغة الأساس على الإخبار ودراسة اللغة لذاتها مركزة على الفعل اللغوي الرئيسي داخل الجملة "وبالرغم من أن مفهوم الحجاج المنبثق عن اللسانيات الحديثة عصي و متأب عن الضبط بالنظر إلى تعدد مظاهره و استعمالاته ومرجعياته النظرية، وخضوعه فى دلالاته لما يميز ألفاظ اللغة الطبيعية من رخاوة وليونة تداولية وتأويلات متجددة"12 وأن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية تسعف فى مقارنة وتحليل خطابات ونصوص مختلفة وأنها ذات بنية منطقية خاصة، تنتقل من حججيات الأقوال والجملة الى حججيات أوسع هي حججيات النصوص والخطابات المختلفة.

النتائج المرجوة من البحث

¹¹ التواصل و الحجاج، سلسلة الدروس الافتتاحية، طه عبد الرحمان الدرس العاشر 1993م / 1994م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص.5.

¹² الحجاج و الاستدلال الحجاجي : عناصر استقصاء نظري أعراب، حبيب، عالم الفكر، [ع.1]، المجلد 30، يوليو سبتمبر 2001م، ص.97، 98.

لقد استطاعت لسانيات النص من خلال لجوئها الى المقاربة التداولية التي زودتها بمختلف الاستراتيجيات والآليات التي تُمكنها من استكشاف المعنى في سيرورته الخطابية الوظيفية، ونقله الى لغة أخرى وسياق ومقام مختلفين، بعد أن كانت اللسانيات حبسته في حدود البنية الجامدة للنص التي أقصت السياق والفاعل والمتفاعل في صناعة أفعال الكلام وبناء الحجاج بالكفاءة التداولية، التي تتجاوز الملكة اللغوية التي تتعلق بالنص في الكشف عن سمته البلاغية المتحققة بدرجات ونسب متفاوتة المتغيرة من حيث الأشكال والأنواع والصيغ والأنماط في الانتقال من خطاب الجمود على الحرفية والنصية، الى الخطاب المنجز المنفتح على التأويل والقراءة السيميائية.

شكلت الخطاب منظومة اتصال بلاغي تتفاعل فيها الخصائص النوعية للنصوص والأغراض التداولية التي يتغيها المبدع، تستطيع التأثير في المتلقي بهدف خلق ردود أفعال لديه تحرضه على الفعل وتحثه على اتخاذ الموقف .

فقد سعينا إلى الانتفاع بالتصورات المنهجية الحديثة من قبيل نظرية الأجناس وتحليل الخطاب ونظرية الحجاج والأسلوبية والتداوليات وجمالية التلقي ونظرية التواصل، لما وجدنا في تشغيل مفوماتها وأدواتها الواصفة من فائدة عظيمة يسرت لنا تعميق معرفتنا ببلاغة الخطاب النثري الذي صاغه يُصاغ بمنهج الاستدلالي، في الاعتراض، وطرق درء التعارض، و الترجيح بين الأقوال، و الأدلة، وأن الحجاج مفهوم بليغ، متعدّد المساعي الدلالية، وفُق السياقات الآيات والمعاني، والمقاصد المراد ترسيخها عند المخاطب، التي تجاوزت فعل الإقناع كما عُرف عند بيرلمان وديكرو ومن سار على دربهما، في اتجاه تحقيق ما عُرف بالحجة البالغة.

1. لقد كان هذا البحث يتدرج متوسلا المقاربة في مجال الدراسات اللسانية إلى ما بعد اللسانيات ومحاولة تأطيرها نظريا ومعرفيا من خلال المجال التداولي الذي يتحرك في إطاره الخطاب، ويستمد منه معانيه فيما توفره لسانيات النص والخطاب من عناصر للتحليل وكيفية تـ الانتقال من النسقية الشكلية التي تضيق بها الدراسة إلى الجوانب الدلالية والتداولية في اعتماد الإجراءات الأكثر مطاوعة وليونة ساعد النقاد على التعامل مع النصوص بطريقة شمولية تراعي السياق والمقام والنظم والتداول.

2. أن الكفاءة النصية لاتروم فقط تفكيك وتحليل المظاهر الشكلية للنصوص، وإنما تساهم فيها عناصر غير لغوية مثل درجة الاتساق والانسجام والمقام والترابط اللغوي، والشكلي في فنيات بناء الخطاب من خلال غزارة الإحالة، وأدوات الربط، وأدوات المقارنة والحذف،

والتوازي، والتكرار والتمثيل والاستشهاد، والصور الدلالية المتوالية في تجاوز لسانيات الجملة الى لسانيات ما بعد الجملة.

3. رأينا كيف ساهم سياق الكلمة والجملة المرتبط بالمقدس زماناً ومكاناً في إظهار الدلالة الكلية للخطب التي تجلت في الدلالة المباشرة في المعاني الظاهرة، ومرة أخرى في الدلالة التأويلية المفككة للرموز الدينية، والأبعاد النفسية، والاجتماعية والموروث الثقافي والسياسي. طبيعتها عملياً على الخطاب؛ لنعرف مدى كفاءتها في ملامسة المعاني المرادة التي تنغيا، المرتكزات التداولية التي انبنت عنها نتائج العمل أهمها ما يلي:

الفهرس

1-القرآن الكريم

2- القول الأصولي المالكي ومناهج الحجاج، إدريس غازي بن محمد، دار ابي رقرق للطباعة والنشر، المغرب ، ط1، سنة2012.

4-الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني شرح وتعليق د. محمدعبد المنعم خفاجي بيروت: دارالكتاب اللبناني 1405هـ/1985م ج، 1، ص، 41

6-لسان العرب، ابن منظور، مادة خطب(خ ط ب)

7-"في قراءة التراث الديني – الإتيقان في علوم القرآن الشرفي (عبد المجيد)، ، ، ضمن كتاب، في قراءة النص الديني، الدار التونسية للنشر، 1986. ص11.

10-ميثاق الرابطة، جريدة الكترونية أسبوعية، تصدر عن الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، العدد 234.

11-سورة المجادلة الآية 1.

12-سورة الكهف الآية 34.

13--سورة النبأ، الآية، 37.

14--سورة ص، الآية، 23

15-سورة ص، الآية، 20